

بدايات حوزة النجف الاشرف



بدايات حوزة النجف الاشرف

في سنة (448 هـ) نرح إلى مدينة النجف من بغداد كبير علماء الشيعة في ذلك العهد، الشيخ أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي، إثر فتنة طائفية أثارها السلجوقيون في مفتح حكمهم في العراق، وكان من آثارها الهجوم على دار الشيخ الطوسي، ونهب كتبه وإحراق كرسيه الذي كان يجلس عليه للتدريس، وإحراق مكنتبات أخرى. فكان ارتحال الشيخ الطوسي إلى النجف، بداية عهد جديد في حياة هذه المدينة التي أخذت منذ ذلك العهد تتحول من مدينة ومزار إلى جامعة كبرى. ويبدو أنَّهُ كان للنجف قبل الشيخ الطوسي شأن علمي، وكان يقصدها الناس للدراسة على علمائها المجاورين فيها، فمنذ أوائل القرن الثالث للهجرة نرى أسماء علمية بارزة تُنسب إلى النجف، مثل: شرف الدين بن علي النجفي، وأحمد بن عبد الله الغروي، وابن شهریار، كما أن هناك إجازات علمية تحمل اسم النجف. ثم نرى أن المؤرخين يذكرون أن عهد الدولة البويهية حين زيارته للنجف سنة 371 هـ، وزرع أموالاً على الفقهاء والفقراء، ومعنى هذا أنَّهُ كان فيها جمهور من الفقهاء خفِيَت عن أخبارهم، وضاعت فيما ضاع من أخبار النجف الكثيرة، ومعنى هذا أيضاً، أنَّهُ كان قبلهم فيها فقهاء، وظل بعدهم فيها فقهاء. ولكي يشير المؤرخون

إلى وجود الفقهاء فيها حين زيارة عضد الدولة، لابد من أن يكون هؤلاء الفقهاء حصيلة دراسات متصلة من عهدٍ لا نستطيع تحديده تحديداً دقيقاً، لقلة ما بأيدينا من المصادر. على أنه من البديهي، أن تكون النجف بعد ابتداء شأنها كمدينة، قد ابتدأت في نفس الوقت تَرث الكوفة علمياً ودراسياً، فكونها صاحبةً من ضواحي الكوفة، وكونها أضحت مهوى قلوب المؤمنين، وموضع هجرتهم، وكون الكوفة صاحبة ذلك الشأن العلمي الرفيع، كل ذلك أهّل النجفَ لورثة تدريجية . لذلك كان من الطبيعي أن يكون للنجف شأن علمي دراسي، قبل رحيل الشيخ الطوسي إليها، ولكن الشأن تبلور بوصول الشيخ، وتطور إلى تنظيم، جعل منها مقصد الطالبين من كل مكان. ولا يفوتنا أن الشيخ لم يهاجر إليها وحده، فمن المعلوم أنه كان له في بغداد حلقة تتلقى العلم عليه، تتلوها حلقات تتلقى العلم على تلاميذه. ومن المؤكد أن جُلّ هؤلاء – إن لم يكونوا كلهم – قد انتقلوا بانتقال الشيخ، ونظّموا أمر الدرس تنظيمًا دقيقاً، دخلت فيه النجف في طور جديد، من أهم أطوارها.